شرح العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
المتوفى سنة ٧٢٨هـ

للشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

الوادعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٣٣)

قال شَيخُ الإِسلَامِ أَبُو العَبَّاسِ أَحمَدُ بنُ عَبدِ الحَلِيمِ بنِ عَبدِ السَّلَامِ بنِ تَيمِيَّةَ الحَرَّانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فَصْلٌ في قرب الله تعالى وإجابته وأن ذلك لا ينافي علوه وفوقيته(١):

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ صفة القرب بعد أدلة المعية، ومن أهل العلم من يرى أن صفة القرب بمعنى صفة المعية العامة، والمعية العامة: أي: أن الله معنا بسمعه وبصره وعلمه وقدرته وإحاطته، ومنهم من يرى التفرقة بينهما.

واختلف أهل العلم في قرب الله سُبحَانَهُ هل ينقسم إلى قسمين: قرب عام، وقرب خاص، أم أن القرب لا ينقسم إلى قسمين وأنه خاص.

الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن قرب الله خاص بسائليه وعابديه؛ لقول الله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وهو أيضًا قول ابن القيم كما ذكره عنه الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شرح العقيدة الواسطية»(٢/ ٨٧)، وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية»:

وهو القريب وقربه المختص بالـ ... ـداعي وعابده على الإيمان

والقول الثاني: أن القرب ينقسم إلى قسمين: قرب عام، وقرب خاص.

القرب العام: بمعنى إحاطة الله، ومشاهدته لخلقه، وهو معهم بعلمه وسمعه وبصره، كالمعية العامة.

والقرب الخاص: وهذا الثاني هو الذي قرره الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تفسيره».

فعلى هذا القول يكون الله سُبحَانَهُ قريبًا من البر والفاجر والمؤمن والكافر.

فهل الله قريب من الكافر؟ قريب لكنه قرب عام.

وهذا القرب حقيقي، فهو صفة حقيقية، ولكن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في العلو.

وهنا قاعدة في آخر كلام شيخ الإسلام يقول: (وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ)، وهذه قاعدة مهمة فيها بيان أنه لا يتعارض أدلة العلو مع أدلة القرب.

فاستفدنا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقرب بذاته ممن يشاء من خلقه وهو في علوه، وهذا يقتضي توفيق الله للعبد، إذا قرب الله من عبده قربًا خاصًّا هذا يقتضي توفيق الله للعبد ولطفه به ورحمته واستجابة دعائه.

ولا يعلم الإنسان أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قريب منه إلا بآثار هذه الصفة، ويعلم أن الله معه لن يضيعه، فالله سُبحَانَهُ يقرب ممن يشاء من خلقه من السائلين والعابدين، كما تقدم في الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وحديث نزول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى السماء الدنيا كل ليلة عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ» رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وفي هذا المعنى عن عَمْرو بْنِ عَبَسَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ» رواه الترمذي (٣٥٧٩)، وذكره والدي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيح المسند» (١٠١٥).

وَقَد دَّخَلَ فِي ذَلِكَ (٢) الإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ؛ كَمَا جَمَعَ بينَ ذَلِكَ (٣) في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآيَة ، وَقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِّن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» (٤) . وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لاَ يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ

و في «صحيح مسلم» (١٣٤٨) عن عائشةَ أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟».

الدنو ما هو؟ القرب.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يدنو من أهل عرفة يوم عرفة، ويقول: « مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» أرادوا مغفرته ورحمته وجنته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(٢) أي: في أسماء الله وأوصافه الإيمان بأنه قريب من خلقه.

(٣) أي: بين القرب والإجابة.

(٤) هذا اللفظ رواه مسلم (٢٧٠٤) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفَوْقِيَّتِهِ (٥)؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (٦) فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ (٧)، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّه، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ (٨).

---

(٥) ينبه شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذا حتى لا يتوهم أحد من أدلة القرب والمعية المخالطة والمماسة وأن الله سُبحَانَهُ في الأرض، فالله سُبحَانَهُ عالٍ فوق خلقة وهو معهم وقريب منهم.

(٦) قال تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

(٧) أي: في جميع صفاته، هذه قاعدة مأخوذة من أدلة كما تقدم معنا، مثل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]. وقال تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤]، وقال سُبحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤].

(٨) هذا أيضًا من القواعد المهمة تحفظ وتفهم، فعلو الله سُبحَانَهُ لا ينافي قربه، وقرب الله لا ينافي علوه.

تمَّ نشرُ هذا الدرسِ بتاريخ

٥/١٢/١٤٤٦هـ.

بحمد الله